جامعة تكريت

كلية التربية للبنات

قسم التاريخ

المرحلة: الثانية

المادة : منهج البحث التاريخي

عنوان المحاضرة: التدوين التاريخي في الحضارات الشرقية

أسم التدريسي : م.د. بسمه طه اسماعيل

إلايميل الجامعي للتدريسي : Basma.taha@tu.edu.iq

التدوين التاريخي في الحضارات الشرقية

بدأ الإنسان أول تدوين في التاريخ عندما بدأ الإنسان بتدوين شؤون الحياة المختلفة ومنها احداث الماضي منذ أن ظهرت أولى الحضارات البشرية هما حضارة الرافدين والنيل وذلك مع اكتشاف وسيلة التدوين (الكتابة) فكان سكان وادي الرافدين قد اخترعوا الخط المسماري وسكان وادي النيل اخترعوا الخط الهيروغليفي وبدأت تظهر نتيجة ذلك المدونات التاريخية وأحداث الماضي في العصر المبكر من تاريخ هاتين الحضارتين وفي الواقع فأننا لا نتوقع ان نجد في تلك المدونات القديمة المفهوم العلمي الحديث للتاريخ من نقد وتحقيق وتمحيص وغير ذلك، لكن مع هذا فأن اسساً مهمة يقوم عليها مفهوم التاريخ قد وضعت في بعض هذه المدونات لا سيما تلك التي تعود إلى حضارتي وادي الرافدين ووادي النيل وفي مقدمة ذلك ما يمكن ان نطلق عليه مصطلح (الحس التاريخي)، وكانت الأساليب التي يتبعها كُتاب العراق القديم وأساليب المؤرخين في الحضارات القديمة اللاحقة تُظهر الشيء الكثير من العناصر الحضارية لحضارة بلاد الرافدين.

اهتم سكان العراق القديم في أحداث الماضي وتدوينها معتمدين على مصطلح الحس التاريخي اي التاريخ الشفهي وهذا الحس التاريخي يعد من بين أهم العناصر الحضارية في تراث حضارة الرافدين وان من اهم ما يميز النوع البشري هو تناقضات الجيل المختلفة و خبرات الماضي وكان ذلك يتم بالتاريخ الشفهي قبل وجود التدوين وكذلك تجد بعض الأهدف المستوحاة من دراسة التاريخ في العصر الحديث منها اهتمام الإنسان في تتبع أصول الأنظمة الاجتماعية وتطورها وتغير أحداث الماضي التاريخي فتح اول المحاولات لدى كتبة تلك الحضارات وآدابها لتغيير اصول الاشياء والانسان والحياة والتطور الاجتماعي بوجه عام بلغه الأساطير ورموزها.

قد ظهرت عند الكتبة الاشوريون بوادر أولية لربط حاضرهم بالماضي وذلك في الكتابات الرسمية الملكية التي لم تقتصر على تسجيل أعمال الملوك من بناء وتعمير وحملات عسكرية بل صدرت بمقدمات تاريخية وذكرت فيها الأحدث الماضية وربطت بأعمال الملوك وقد حاول الكتبة العراقيون القدماء اضافة الى التدوين احداث الدولة او سلالات الملوك ان يفسروا تاريخ العالم

وفق آرائهم منذ بدء الخليفة مثل ما جاء في بعض القصص الخاصة بالطوفان واصل نظام الحكم وأصل الأشياء وهكذا فقد ترك لنا الكتبة في كل من بلاد وادي الرافدين و وادي النيل مدونات تاريخيّة تتضمن جداول بأسماء الملوك والسلالات الحاكمة مثل السلالات البابلية وجداول الملوك الاشوريين والجدول الذي دونه الكاهن المصري (منيثو) وقسم فيه السلالات الحاكمة في مصر إلى إحدى وثلاثين سلالة.

ألف الكتبة البابليون تواريخ ومدونات عن الماضي وهي التي تعرف لدى الباحثين بمصطلح (Chronicles) ، كما اتبع الكتبة الاشوريون ايضاً النظام الحولي في تدوين أخبار ملوكهم لا سيما حملاتهم العسكرية أي ذكر هذه الاحداث عاماً بعد عام وقد طور الكتبة الاشوريون اسلوب تدوين جداول الملوك والسلالات الى ما يعرف بالوقت الحاضر بأسم (التاريخ التعاصري أو التاريخ التزامني) وهو عبارة عن موجز للعلاقات السياسية ما بين ملوك بابل وبلاد آشور حيث قسموا جداول الملوك المتعاصرين في كلا البلدين إلى حقلين منفصلين عددوا فيهما كل ملك آشوري ومن يعاصره من الملوك البابليين.

شكلت ارض الرافدين محور تاريخ الانسانية منذ الاف السنين عندما انبثق اول فجر حضاري فيها واهتدى الانسان الى التدوين ، وادى نمو التجارة المبكر – والتوسع الامبراطوري فيما بعد – الى نقل نظام الكتابة المسمارية الى ايران وسوريا واسيا الصغرى وفي الواقع ان هيبة السومريين تعكس الى حد كبير مساهمتهم الفريدة في معرفة واختراع الكتابة .اذ ان الاهتداء الى الكتابة قد حدث لأول مرة في تاريخ البشرية في بلاد وادي الرافدين . وابتكر الانسان العراقي الذي عاش بين نهري دجلة والفرات الحرف المكتوب وهذا يعد اعظم انجاز واوسع خطوة خطاها الانسان في ارض الرافدين نحو بناء الحضارة وتشييد صرحها .

كان العراقيون القدماء اول من ابتدع وسيلة للتدوين أي الكتابة خلال تدوين ما يجول بخاطرهم من افكار وتثبيت ما لديهم من علوم ومعارف توصلوا اليها في ممارستهم التطبيقية ،

فكانت الكتابة اشبه بالقارب الذي انتقلت بواسطته جميع تلك العلوم والمعارف الى الاجيال التالية والى اماكن اخرى غير بلاد سومر وأكد .

وان الكتابة التي ابتدعها العراقيون القدماء والتي عرفت من قبل الباحثين المحدثين بالكتابة المسمارية ، لم تبتدع في سنة محدودة بشكل كامل ، بل يظن ان اقدم محاولات الانسان في الكتابة في حدود ٤٠٠٠ ق.م اذ يرقى تاريخ اقدم الالواح الطينية التي تحمل علامات صورية استخدمت لنقل الافكار الى الاخرين الى هذا التاريخ، وقد مرت تلك المحاولات بمراحل عدة الى ان تبلورت فكرة الكتابة واختزلت اشكال واعداد العلامات الصورية.

وفي المراحل الاولى استخدم الانسان اعدادا كبيرة من العلامات التي رسمها لتعبر عن الاشياء المراد التعبير عنها، وكانت عبارة عن رسوم لتلك الاشياء المادية فقط ، وربما وضعت بعض الارقام امامها للدلالة على عددها ، ثم كانت المرحلة الثانية وهي المرحلة الرمزية في الكتابة التي استخدمت فيها العلامة الصورية الواحدة للدلالة على اكثر من معنى، والرمز بها الى كل الافعال ذات العلاقة بالشيء المادي ، وكان عدد العلامات واشكالها قد اختزل .

واما المرحلة الثالثة والاخيرة التي مرت بها الكتابة فتسمى عادة بالمرحلة الصوتية او المقطعية التي استخدمت العلامات الصورية والصوتية لتكوين كلمات جديدة بواسطتها ي ان الطريقة الصوتية في الكتابة شبيهة جدا بالكتابة الابجدية.

وكان للسومريين الفضل الاول في اختراع الكتابة واستخدامها وسيلة للتدوين في حدود ٤٠٠٠ق.م ومنذ البداية كان الطين المادة الاساسية التي استعملها السومريون للتدوين، ولا عجب من ان استخدام مادة الطين في الكتابة فقد كانت ارض جنوب العراق منطقة فيضانات لذا نرى الناس الذين سكنوها يلجأون الى استخدام المادة الوحيدة المتوفرة لديهم وهي الطين ، فكانوا يصبّون قطعا صغيرة على شكل قوالب الصابون ثم يرسمون على الطين الطري علامات كتاباتهم مستخدمين راس قصبة محدبة ، ثم يجففون المادة الطرية المكتوبة وكان يضطرهم ذلك الى ايجاد طريقة مناسبة للقيام برسم هذه الاشارات ، اذ كانوا يعتبرون هذا من حروف الطباعة اكثر منها الى اشكال الرسوم وقد كان كل حرف مكونا من عدة خطوط مرتبة بشكل مختلف وللخطوط نهايات محدبة بسبب راس قلم الكتابة وهو اشبه شيء بالمسمار ومن ذلك جاءت تسمية هذه

الكتابة بالكتابة (المسمارية) . وظهرت هذه الكتابة في نهاية الالف الرابع قبل الميلاد واللغة السومرية اقدم لغة في حضارة وادي الرافدين دونت بالخط المسماري

وكانت اللغة السومرية بحكم تفوق السومريين الثقافي والسياسي لغة الادب والعلم في حضارة وادي الرافدين وتركت اللغة السومرية تراثا لغويا ضخما في تاريخ العراق وفي لغات الاقوام التي استوطنت فيه سواء كان ذلك بطريق مباشر في استمرار تداول الكثير من المفردات والمصطلحات السومرية ، او بطريق غير مباشر باستعارة الاكديين (البابليين والاشوريين) الكثير من المفردات السومرية بعد تحويلها لتلائم صيغ لغتهم.